مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية ISSN :2353 - 0529
المجلد2 ، العدد3، (جانفي2014) EISSN : 2600-643x

تأثير التغيرات الاجتماعية على هروب الفتيات المراهقات من البيت في الجزائر

الأستاذ: بن عودة محمد.
قسم العلوم الاجتماعية
جامعة خميس مليانة

ملخص:

تعد ظاهرة هروب الفتيات المراهقات من البيت، من المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الحديثة على وجه الخصوص، وذلك نظرا للتغيرات الكبيرة التي تشهدها هذه المجتمعات، حيث أدت هذه التغيرات إلى بروز العديد من المظاهر الاجتماعية الانحرافية، خاصة في أوساط الشباب الأكثر تأثرا بهذه التغيرات الاجتماعية، مما نتج عنه ارتفاع نسب انحراف الأبناء وانتشار الثقافات الفرعية التي غالبا ما ترفض القيم الأسرية والاجتماعية، وتصنع لنفسها قيما جديدة لتتكيف مع هذه التغيرات، وكثيرا ما تجد العديد من الفتيات المراهقات نفسها بين قيم الأسرة المحافظة، وقيم الثقافات الفرعية التي تدعوا إلى التمرد والهروب من البيت، وفي ظل هذا التناقض تتشابك العديد من العوامل التي تؤدي إلى هروب الفتيات المراهقات من البيت، والتي لها علاقة مباشرة بالتغيرات التي تعرض لها المجتمع بصفة عامة، ولفهم طبيعة التغير الاجتماعي للمجتمع الجزائري لا بد من التعرض أولا إلى مرحلة ما قبل الاستقلال، ثم ربطها بالمشكلات التي أصابت المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، وتأثيراتها على انتشار هروب الفتيات المراهقات من البيت.

ـ تمهيد:

تتعرض كل المجتمعات البشرية إلى مجموعة من التغيرات التي تصيب بنائها الاجتماعي، وتؤثر على الوظائف والأدوار لأنساقها الاجتماعية، ولكن ليس هناك اتفاق بين الباحثين على أن كل التغيرات تصيب المجتمعات الإنسانية بنفس الوتيرة، ونفس التأثير، بل يتوقف ذلك بحسب طبيعة المجتمع وبنائه، وظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، فهناك بعض المجتمعات هي من تصنع التغير وتتحكم فيه وتوجهه، كما هو الحال عند المجتمعات المتقدمة، وهناك مجتمعات تتعرض إلى موجات من التغير في كافة المستويات، وغالبا ما تجد نفسها عاجزة عن توفير الآليات اللازمة لمواجهة هذا التغير من أجل التقليل من الآثار السلبية، "حيث كان لسرعة معدلات التغير الاجتماعي التي خبرتها دول العالم الثالث ومنها العالم العربي فعالية فصل الحاضر عن الماضي، وجعل المستقبل بعيدا عنهما أيضا، ومن ثم ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار ما يمكن أن ينجم عن ذلك من تزايد

إحساس الشباب بالاغتراب واللامبالاة والانعزال عن العديد من المواقف التاريخية في المجتمع"[1].

على هذا المنوال فقد تعرض المجتمع الجزائري إلى مجموعة من التغيرات التي أصابته في البناء والنظم والأنساق، وكذلك في أدوار ووظائف مؤسساته الاجتماعية، ونظرا للخصوصية التاريخية والثقافية والاجتماعية للجزائر كمجتمع نامي، فقد تأثر كثيرا بالتغيرات التي أصابته، خاصة وأنه مجتمع حديث العهد بالاستقلال، فهناك تغيرات كثيرة أصابت نظمه الاجتماعية و مؤسساته الأساسية، وحدثت تغيرات كثيرة في وظائف وأدوار هذه المؤسسات، ومنها على سبيل المثال ظاهرة هروب الفتيات المراهقات من البيت، والتي سنحاول البحث عن أسبابها ومصدر نشوئها من خلال تحليل بناء المجتمع الجزائري مع الوقوف على أهم التغيرات التي طرأت عليه كعوامل سلبية وربطها بانحراف الأبناء وهروب الفتيات كنتيجة لهذه التغيرات.

ـ أولا: مفهوم التغير الاجتماعي

يرى محمد عبد المولى الدقس أن التغير الاجتماعي هو: "كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة محدودة من الزمن. وقد يكون هذا التغيير إيجابيا أي تقدما، وقد يكون سلبيا أي تخلفا"[2].

ويذهب جنزبرج (**Ginsberg, 1972**) إلى أن التغير الاجتماعي: "هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن، أي أننا إذا حاولنا تحليل مجتمع في ضوء بنائه القائم، وجب أن ننظر إليه خلال لحظة معينة من الزمن، أي ملاحظة اختلاف التفاعل الاجتماعي الذي حدث له، وهذا هو التغير الاجتماعي"[3]، من جهته يعرف طاهر محمد بوشلوش التغير الاجتماعي، على أنه "كل تحول في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء أكان ذلك في البناء أو الوظيفة، ولما كانت النظم في المجتمع متكاملة بنائيا ومتساندة وظيفيا، فإن أية تحول يحدث في ظاهرة ما لابد أن يؤدي إلى سلسلة من التحولات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة وبدرجات متفاوتة"[4].

نلاحظ من خلال المفاهيم السابقة أن العلاقة مباشرة بين التغير الاجتماعي والبناء الاجتماعي، وكل تغير أو تحول يطرأ على أحد أبنية أو نظم المجتمع، خلال فترة زمنية معينة يؤدي بالحتمية إلى تغير باقي نظم وأجزاء ووحدات المجتمع، وهذا ما أكده جنزبرج (**Ginsberg**) بقوله: إنني

لا أفهم تغيرا يتم، إلا في بناء المجتمع، أي في حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيمه الاجتماعي، وحينما يحدث هذا التغير في المجتمع يمارس أفراده مراكز وأدوارا اجتماعية مغايرة لتلك التي كانوا يمارسونها خلال فترة زمنية سابقة. إن هذه الفكرة التي جاء بها جنزبرج (**Ginsberg**) حول التغير الاجتماعي، قد أضافت بعدا آخر حول التغير الاجتماعي.

من خلال الطرح السابق لمختلف التعريفات والمفاهيم المتعلقة بموضوع التغير الاجتماعي، وعلى الرغم من صعوبة تحديد مفهومه، وتحليل عوامل انتشاره، وتأثيراته على البناء الاجتماعي، إلا أن هناك اتفاق بين مختلف العلماء والباحثين على أن التغير الاجتماعي، هو ذلك التغير الذي يصيب البناء الاجتماعي وأنساقه ومؤسساته، خلال فترة زمنية محددة، وأن أي تغير في نسق أو فرع أو جزء معين سيؤدي بالضرورة إلى تغيرات في باقي الأجزاء أو الفروع، لأن فروع المجتمع وأجزائه متكاملة بنائيا ومتساندة وظيفيا، وذا بدوره يؤدي إلى تغير في الوظائف والأدوار والعلاقات إما إيجابا أو سلبا.

ثانيا: التغير الاجتماعي في الجزائر وإشكالية الاستعمار الفرنسي.

يقول (**Grand Guillaume**):" إنه لمن الصعب تحليل المجتمع الجزائري المعاصر دون التعرض أولا إلى مرحلة ما قبل الاستقلال التي لعبت دورا مهما في ماضي وحاضر البلاد". باعتبارها أهم نقطة تحول هز كيان البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري، وذلك عشية الاحتلال الفرنسي للمجتمع الجزائري سنة **1832**، لذلك ستكون هذه المرحلة كأول منطلق لدراسة أهم التغيرات الاجتماعية في المجتمع الجزائري منذ ذلك الوقت وإلى اليوم، مع الوقوف على أهم الآثار السلبية لهذه التغيرات، ومدى تأثر بنية المجتمع الجزائري بهذه التغيرات في شتى المجالات.

كان المستعمر الفرنسي يرى أن سبيل إخضاع هذا المجتمع يكمن في تفريقه وتشتيته، والقضاء على دينه الإسلام باعتباره المصدر الأساسي لقوة هذا المجتمع، وذلك ما أكده "لوروا بوليو" (**Paul Leroy Beaulieu**) في دراساته حول مشكلات الاستعمار فقال: "كل الأمم التي أسست مستعمرات، وضعتها في أراضي خالية أو فيها قلة من السكان، فاستحوذوا على مناطق سهلة الاحتلال تحتوي على أراضي شاسعة وسهلة الاحتلال والأهالي فيها قليلون وموزعون على الأرجاء وبدائيون لا يستطيعون المقاومة، وبالعكس استولت فرنسا في سنة **1830** على أرض شعب آهلة ومستغلة زراعيا، وكانت لهذا الشعب حضارة متقدمة، ويشكل مجتمعا سليما توفرت فيه كل عناصر الحياة والقوة، وهذا ما يزيد في التعقيد لأن دين هؤلاء الأهالي دين في أعلى الروحانيات، أو من حيث بساطته ووضوح فلسفته فهو يشكل قوة دفاعية لا تخضع لبشر[5].

ـ ثالثا: مشكلات التغير الاجتماعي في الجزائر بعد الاستقلال.

من الخطأ الجسيم أن يعتقد البعض أن هذه الجرائم التي ارتكبها المستعمر في حق الشعب الجزائري قد انتهت بعد إعلان الاستقلال للجزائر، فآثار جرائم فرنسا لا تزال موجودة في عقول الشعب الجزائري من الذين عايشوا تلك المرحلة، وحتى في عقول من لم يعايش تلك المرحلة من بدع وخرافات وثقافات خاطئة غيرت المنظومة القيمية لهذا المجتمع، حيث ورث المجتمع الجزائري عن المستعمر الفرنسي بعد رحيله، شعبا أميا لا يكتب ولا يقرأ، مشبعا بالأفكار الهدامة التي صارت جزءا من ثقافته ومن قيمه ومن سلوكاته تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، ومن أهم المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري اليوم، والتي لها علاقة وثيقة بالاستعمار الفرنسي نذكر:

1. التحضر الزائد: تعد مشكلة التحضر الزائد من أهم المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال وحتى اليوم، يدل مفهوم التحضر الزائد على وجود مشكلة حضرية في بلد ما، وقد شغلت هذه المشكلة اهتمام الدول النامية على الخصوص، حيث تأثرت هذه الدول بمشكلة التحضر الزائد بعد إعلان استقلالها، إضافة إلى توفر مناصب الشغل بسبب سياسات التصنيع وإنشاء البنى التحتية على حساب المشاريع الفلاحية والزراعية، وكذا الزيادة الطبيعية العالية التي تشهدها الدول النامية على السواء، وفي خضم كل ذلك تفتقر هذه البلدان النامية إلى سياسة تنموية تواكب حالة التحضر السريعة، عكس الدول المتقدمة التي كانت فيها درجة التحضر بطيئة تواكبها سياسة تنموية شاملة، "حيث استغرقت عملية التحضر في البلدان المتقدمة حوالي **150** سنة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، أما بالنسبة إلى الجزائر كبلد نام فإنه لم تأخذ عملية التحضر فيها سوى مدة تتراوح بين **30** و**40** سنة لتصل إلى مستوى يبلغ حوالي **54%** هم من سكان الحضر حاليا"[6].

يعرف جيرالد بيرز (**Gerald Perez**) التحضر الزائد بأنه: "الحالة التي يعيش فيها في أماكن حضرية نسب من سكان بلد ما تفوق إمكانيات النمو الاقتصادي لتلك الأماكن"، ويتداخل مفهوم التحضر الزائد مع مفاهيم أخرى تشير إلى نفس الدلالة كمفهوم التضخم الحضري أو التحضر المفرط أو التحضر المرضي، وكل هذه المفاهيم تشير إلى وجود مشكلة حضرية في البلدان النامية، غير أننا استخدمنا مفهوم التحضر الزائد لارتباطه الكبير بالدراسات المهتمة بالتنمية الحضرية[7].

بدأت تظهر مشكلة التحضر الزائد في الجزائر بعد الاستقلال مباشرة بسبب النزوح الكبير لأعداد كبيرة من الأفراد نحو المدن، والسكنات الشاغرة التي خلفها المعمرون ورائهم، إضافة إلى الزيادة الطبيعية الكبيرة التي شهدها المجتمع الجزائري عقب الاستقلال، واهتمام الدولة بالتنمية الاقتصادية والتشغيل وبناء البنى التحتية، والمنشئات الصناعية الضخمة على حواف

المدن، ووضع استراتيجيات تنموية للمدن مع إهمال القرى الريفية وعدم تطوير القطاع الزراعي، جعل العديد من الفلاحين يهاجرون نحو المدن بحثا عن حياة أفضل من تلك التي يعيشونها في الريف حيث تغيب فيها أدنى شروط الحياة التي توفرها المدينة لسكانها، وهذا ما زاد من تدفق سكان الريف نحو المدن كما يبين ذلك الجدول التالي:

- الجدول رقم (1): تركيب السكان الريفي والحضري في الجزائر بعد الاستقلال.

السنة	عدد السكان الإجمالي	الريف		الحضر	
		عدد السكان	النسبة	عدد السكان	النسبة
1966	12.296.343	8.321.218	%68	3.975.125	%32
1977	16.810.876	9.740.141	%58	7.170.735	%42
1987	23.038.942	11.594.693	%50	11.444.249	%50
2000	35.000.000	12.250.000	%35	22.750.000	%65

Source : M.A.R.A, **Réflexions sur les perspectives de l'agriculture en l'an 2000**, 1983, p32.

هذه الوضعية المتناقضة بين الريف والمدينة عمقت الفارق بينهما، وزادت من مشكلة التحضر الزائد بسبب الهجرة المتزايدة من الريف نحو المدينة، وبالتالي نتج عن التحضر الزائد أو التحضر الحدي مشاكل اجتماعية كثيرة، بسبب نقص التخطيط وقلة التنمية وعدم قدرة الدولة على التحكم في هذا النمو المتواصل، وزيادة على ذلك، تزداد حدة التفكك الاجتماعي، وتتراجع سلطات الضبط الاجتماعي، ويتراجع دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تساهم في ضبط سلوك الشباب كالأسرة، المدرسة، المسجد ... ويزداد التأثر بالثقافات الفرعية التي ينشرها الشباب في ظل هذا التحضر الزائد، أو الغير مراقب، ولا تقتصر مشاكل التحضر الزائد على الجانب الاقتصادي أو التنموي أو الديموغرافي، بل يتعداه إلى الجانب الاجتماعي كما سبق وشرحنا، حيث تنشأ العديد من السلوكات الإنحرافية والإجرامية، خاصة في أوساط الشباب، حيث يعتبر النمو الحضري الزائد والغير المراقب أرض خصبة تنمو فيها الثقافات الفرعية المنحرفة في أوساط الشباب بدون رقابة، وتمارس نشاطاتها الإنحرافية بكل حرية.

2. التفكك الاجتماعي: تعد مشكلة التفكك الاجتماعي من أهم المشكلات التي واجهت المجتمع الجزائري عقب الاستقلال، وذلك نظرا لسياسة التفكيك التي انتهجها المستعمر الفرنسي منذ دخوله عام **1832** وإلى غاية الاستقلال، وكان الهدف من تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري هو التمكن من فرض السيطرة على الأفراد و تفكيك القبائل والعشائر التي كانت تمثل مصدر قوة الشعب الجزائري بالإضافة إلى الدين الإسلامي الذي كان يدعوا إلى التعاون والجهاد ضد الغزاة.

ويعد تفكك البنية العائلية التقليدية الجزائرية من أهم المشكلات التي طرأت على المجتمع الجزائري عقب الاستقلال، حيث أن أغلب الشهداء كان لهم عائلات،

وبالتالي حرم حوالي 300.000 من الأطفال أو الشباب من مراقبة ودعم آبائهم، زيادة على ذلك فإن غياب الأب كرئيس تقليدي للعائلة الموسعة، سبب مشاكل حادة أثرت على استقرار هذه المؤسسة(8). و بالتالي فقد المجتمع الجزائري الكثير من المقومات الاجتماعية التي طالما رسخت الهوية الجزائرية عبر العصور، ومع سقوط النظام القبلي أو العشيرة غزت المجتمع الجزائري قيم دخيلة مستوردة من الضفة الأخرى، عبر الاستعمار الفرنسي، فعاش المجتمع الجزائري حالة من الاغتراب وفقدان الهوية، واختلت المنظومة القيمية عنده.

3. اختلال المنظومة القيمية: لقد نتج عن استعمار فرنسا للجزائر صدام بين ثقافتين مختلفتين جذريا، فالثقافة العربية الإسلامية التي كانت مغروسة في المجتمع الجزائري، يستمد منها قيمه وعاداته وتقاليده، فالعديد من الممارسات الاجتماعية كانت تبين ذلك الارتباط الوثيق بين الدين الإسلامي والحياة الاجتماعية التي يتشارك فيها مجموعة من الأفراد و يعيشون متحدين داخل القبائل أو العشائر، وبالتالي كان نمط الحياة في المجمع الجزائري مشترك في الأعمال والعادات والأفراح والأتراح، تجمعهم روابط كثيرة مثل رابطة الدم والأرض والدين ... وبالتالي كان الأفراد في المجتمع الجزائري القبلي يعيشون وكأنهم رجل واحد، وبالتالي كانت القيم الجماعية هي السائدة في المجتمع الجزائري التقليدي.

ولما جاء الاستعمار الفرنسي وقام بفرض ثقافته الغربية عن طريق القوة، والتي كانت تتميز بالفردانية أي أن كل فرد يعيش لنفسه ومن أجل نفسه ضاربا بكل القيم الجماعية عرض الحائط، بالتالي أصبح المجتمع الجزائري يعيش تلك الثنائية في قيمه وفي ثقافته، وبقي الحال هكذا طيلة قرن وربع القرن من الزمن عمل فيها المستعمر الفرنسي على مسح الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري باعتبارها الخطر الوحيد الذي كان يهدد الكيان الفرنسي في الجزائر، وبالنظر إلى السياسة الاستعمارية الخطيرة التي كانت تمارس على الشعب الجزائري التي بدأت بتفكيك البنية القبلية للمجتمع الجزائري، وانتهت بحشد الآلاف من أبناء الشعب في المحتشدات، وما صحبها من تجهيل وتشريد وتأليب بين الأفراد، فقد المجتمع الجزائري الكثير من خصوصياته الثقافية والقيمية، والتي زالت مع زوال النظام الاجتماعي الذي كان سائدا أنا ذاك وهو النظام القبلي أو العشائري.

وقد تجلى هذا الاختلال القيم في المجتمع الجزائري بوضوح عقب الاستقلال، حيث بدا الانقسام واضحا في المجتمع الجزائري، بين قسم لا يزال يحافظ على قيمه الأصيلة رغم ويلات الاستعمار، وقسم آخر تخلى عن الكثير من تقاليده وقيمه الأصيلة وتبنى الثقافة الاستعمارية الغربية وتجلى ذلك في عاداته وسلوكياته وفي لغته. وفي ظل هذه الثنائية القيمية بات المجتمع الجزائري يفتقر إلى منظومة قيمية واضحة في مرحلة الاستقلال، خاصة مع سياسة التغيير التي مست كل المجالات

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، حيث كان التغير سريعا وعميقا مما نتج عنه قيم أخرى جديدة لم تكن معهودة عند المجتمع الجزائري من قبل.

4. الفقر والبطالة: من أهم السمات الاجتماعية والاقتصادية التي نتجت عن الاستعمار الفرنسي للجزائر انتشار الفقر والبطالة بشكل حاد، حيث كان أغلبية الشعب الجزائري فقيرا جدا، ويعيش في ظروف اقتصادية صعبة للغاية، فقد كان الاقتصاد الموروث عن الاستعمار الفرنسي لا يلبي احتياجات الشعب الجزائري لأنه كان موجها إلى السوق الأوروبية، ولم يراعي حاجيات الشعب الجزائري، وبخاصة الاقتصاد الريفي والزراعة التي كانت قائمة على زرع الكروم وبعض المحاصيل الموجهة للمستهلك الأوروبي، حيث أدت التنمية الرأسمالية أثناء الحقبة الاستعمارية إلى خلق اقتصاد ذو إنتاج خارجي وإبقاء دولة المحيط في تبعية وفقر دائم، وحتى التصنيع الذي كان يوجه إلى الأسواق المحلية والذي تشرف عليه المجموعات الفرنسية كان يتلقى قوته المحركة من الخارج.

وبعد الاستقلال وجدت الدولة الجزائرية نفسها بدون اقتصاد وطني، ومع ازدياد الحاجيات ومطالب السكان اللامتناهية، بقي الشعب الجزائري يعاني من البطالة والفقر في ظل غياب الهياكل الاقتصادية والقواعد الصناعية، ومع الجهود الحثيثة التي كانت تبذل لخلق اقتصاد وطني قوي يلبي احتياجات الشعب الجزائري، ووضع العديد من السياسات الاقتصادية كتأميم المحروقات والمخططات الاقتصادية من أجل بناء قاعدة صناعية متينة وتحقيق الاكتفاء الذاتي، إلا أن بواعث التبعية الاقتصادية بدأت تلوح في الأفق، وظل الاقتصاد الوطني يعاني من مشكلات وأزمات لا حصر لها.

5. ارتفاع معدلات العنف والجنوح والجريمة: لقد أكدت العديد من الدراسات في أوروبا وخاصة بريطانيا على العلاقة بين الحروب وارتفاع معدلات الجنوح والجريمة، حيث اعتبرت الحرب العالمية الثانية العامل الرئيسي في ارتفاع معدلات الجنوح والجريمة في البلدان الأوربية، "وهذا ما أكده (كريستينسن) حين فسر ارتفاع الجريمة والجنوح في بعض البلدان بآثار ما بعد الحرب، حيث كان الأحداث الجانحون والشباب المجرمون اليوم هم الأطفال الذين ترعرعوا خلال الحرب في ظروف انحلال اجتماعي كبير. هدمت الحياة العائلية وبالتالي نشأ كثير من الأطفال بلا تربية أو مراقبة، زيادة على ذلك، فإن كثير من آباء هؤلاء الأطفال كانوا هم أنفسهم ضحية الانحلال والتفكك الناتج عن الحرب العالمية الأولى، وعانوا من التربية السيئة[9].

وقد كان الوضع مشابها في الجزائر التي خرجت حديثا من حرب تعد من أعنف الحروب في التاريخ المعاصر، بالنظر إلى النتائج الوخيمة بسبب حرب دامت أكثر من قرن وربع القرن من الزمن تعاقب فيها أجيال بعد أجيال شهدوا فيها كل أنواع السياسات الممنهجة لتفكيك المجتمع الجزائري، وبعد الاستقلال كان هناك حوالي **300.000** طفل بدون أب أو أم، ناهيك المعاناة التي نتجت عن التجهيل

والأمية وسوء الرعاية الاجتماعية والتنشئة غير السوية، وبالرغم من قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الجانب، إلا أن ريدوح وزملاءه قاموا بدراسة تحت عنوان (Approche Épidémiologique Psychiatrique de criminalité) وذلك بين سنتي (**1963** و**1968**) توصلوا من خلالها إلى أن " الأطفال الذين ينتمون إلى أمهات سيئات التغذية أو معطوبات حرب يمثلون قسما كبيرا من الجانحين اليوم، كما وجدوا أن أكثر من **21%** من المجرمين قد اشتركوا في الحرب، وحوالي **85%** منهم كانوا يعانون من اضطرابات عقلية، وكانت هذه الدراسة عبارة عن رد للاستعمار الفرنسي الذي اعتبر بأن الجزائري هو مجرم بالطبيعة، وقد أكد فرانس فانون سنة **1963** بأن المجرم الجزائري دوافعه وعنفه وجرائمه ليست من نتاج نظام جهازه العصبي أو ميزة خاصة لطبيعته، بل هي نتيجة مباشرة للوضعية الاستعمارية"[10].

وبالتالي فإن للحرب التحريرية الكبرى التي شهدها المجتمع الجزائري بين (**1954** و**1962**) دور كبير في انتشار العنف والجنوح والجريمة بشكل كبير داخل المجتمع الجزائري بسبب المعاناة الكبيرة التي صاحبت سبع سنوات ونصف من الحرب وتركت أثرا كبيرا على السكان سواء في المناطق الريفية أو الحضرية. وأخذت كل عائلة جزائرية حصتها من الآلام وعدم المساواة لتلك الحرب، وليس هناك شك في أن عددا كبيرا من الأطفال الذين عاشوا تلك الفترة المضطربة التي زرعت فيهم نوعا من الخوف، وطبعت سلوكهم بالعنف والخشونة، حقيقة أدت ومازالت تؤدي بكثير من الشباب إلى الانخراط في مجموعات منحرفة.

ـ رابعا: عوامل هروب المراهقات من البيت في ظل التغير الاجتماعي

من الآثار السلبية التي بات يعاني منها المجتمع الجزائري عقب الاستقلال، هو انتشار ظاهرة الهروب من البيت عند الأبناء، التي تعد من الآثار السلبية الناتجة عن التغير الاجتماعي العميق الذي شهده المجتمع الجزائري عقب الاستقلال، حيث أدت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلى انتشار العديد من المشكلات خاصة عند الشباب والمراهقين، وانتشار الانحراف والجنوح كما بينا ذلك سابقا، وكذلك يعد التفكك الاجتماعي والأسري الذي هو في الأساس من نتائج التغير الاجتماعي، عاملا مباشرا في هروب المراهقات من البيت، و تعد الأسرة عاملا حاسما في هروب المراهقات من البيت باعتبارها المحيط الأول الذي يعشن فيه، وبما أن الأسرة لم تسلم من مظاهر وسلبيات التغير الاجتماعي فإنها تنقل المشكلات الاجتماعية إلى أفرادها عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية الخاطئة وبالتالي سنعمل على ربط ظاهرة الهروب من البيت بالمحيط الأسري كنسق اجتماعي تأثر كثيرا بالتغيرات الاجتماعية التي حدثت في المجتمع الجزائري قبل وبعد الاستقلال.

وبالحديث عن ظاهرة هروب الفتيات المراهقات من البيت في الجزائر، فقد أحصت مصالح الشرطة القضائية العديد من الحالات التي تم التكفل بهن، وهذا ما يبينه الجدول الموالي:

- الجدول رقم (2): عدد الفتيات الهاربات من البيت عبر الوطن (2000-2010).

السنوات / السن	2000	2001	2002	2003	2004	2009	2010
أقل من **10** سنوات	43	2	11	1	5	7	4
10 إلى أقل من **13**	59	45	9	9	48	5	2
13 إلى أقل من **16**	95	111	77	52	34	61	44
16 إلى **18** سنة	86	83	80	59	83	58	49
المجموع	283	241	177	121	170	131	99

المصدر: المديرية العامة للأمن الوطني، مصلحة الشرطة القضائية.

وقد أرجعت السيدة "خيرة مسعودان" عميد الشرطة القضائية ورئيسة مكتب حماية الطفولة بالجزائر، سبب انخفاض هروب الفتيات في المجتمع الجزائري على عامل التوعية والتحسيس الذي تقوم به مصالح الأمن الوطني ومختلف الهيئات و الجمعيات التي تهتم بقضايا الطفل والأسرة، و ذلك من خلال البرامج الإذاعية، الجرائد، أسابيع إعلامية، و توعية المواطنين بضرورة إشراك الحس المدني في القضاء على هذه الظاهرة، وكذا توعية الأسر بالمخاطر والأضرار الناجمة عن سوء التعامل مع البناء داخل الأسرة، والتأكيد على ضرورة تحمل الأسرة مسؤولياتها كاملة اتجاه تربية أبنائها، وقد تم بالفعل حسب السيدة مسعودان خيرة معالجة العديد من القضايا المتعلقة بهروب الفتيات من البيت من خلال تقديمهم إلى الجمعيات الخيرية مباشرة من أجل التكفل بهم، ومن أهم العوامل الأسرية التي تدفع بالأبناء إلى الهروب من البيت نجد:

العنف الأسري: يعد العنف الممارس داخل الأسرة من أهم دوافع هروب الفتاة من البيت، حيث يعتبر الهروب في هذه حالة سلوك لمواجهة ذلك الوضع الأسري(العنف) الذي يعيشه المراهق داخل الأسرة، وفي غياب سبل واستراتيجيات لمواجهة ذلك العنف الذي يحدث داخل أسوار البيت ودون علم أحد، خاصة الموجه ضد البنت ،فإنه لا يمكنها مواجهة الوالدين أو الأخوة أو حتى تحمل ذلك الضرب الذي تتعرض له وبالتي لا تجد سبيلا للخروج من الأزمة سوى الهروب من البيت كحل لتلك الأزمة.

في هذا السياق كانت دراسة جانوس وآخرون **(Janus & al 1987)** قد أكدت على وجود ارتباط بين الهروب ومدى تعرض الهارب إلى الاعتداء البدني

والجنسي خاصة مدى تعرضهم للضرب وشدته (مثل التعنيف، التهديد بالسلاح، الركل والضرب باليد واللكمات) وهذا ما أكدته عدة دراسات كدراسة جارفيس وآخرون **(Jarvis & la 1991)** أظهرت وجود نسب عالية من الاعتداء البدني والجنسي، حيث توصلت إلى إبراز فروق بين الجنسين من حيث شدة تعرض كل من الذكور والإناث للضرب، تأكد لديهم أن الإناث أكثر عرضة للاعتداءين معا (البدني والجنسي) مقارنة بالذكور حيث قدرت نسبة الفتيات اللواتي تعرضن لاعتداء جنسي **(87.3%)** أما الفتيات اللاتي تعرضن للاعتداءين معا فكانت نسبتهن**(83.9%)** من مجموع الهاربين، ولم تكتفي دراسة لوباز وغاري (**Lopez & Gary ,1992**) بالبحث عن عامل الضرب الذي يتعرض له الهاربون من البيت الأسري، إنما تطرقت إلى الفاعل الذي يمارس سلوك الضرب ضد الهارب إذ كشفت أنه غالبا ما كان الفاعل إما الأب أو زوج الأم بنسبة **(41%)** وإما الأم بنسبة **(10.2%)**، وفي المقابل كشفت دراسة ولش **(Welsh 1995)** إلى أن الممارس لسلوك الضرب ضد الهارب غالبا ما تمثل في الأم في المتبة الأولى ثم يليها الأب، وكان يتم الضرب بواسطة الكف وتعريض الإبن إلى عمليات التعذيب كالحرق وإلحاق الضرر به[11].

التمييز في المعاملة بين الذكور والإناث: يعرف التمييز الأسري للأبناء عل أنه "تعمد عدم المساواة بين الأبناء جميعا، وقد تكون التفرقة بينهم بسبب الجنس (ذكر أو أنثى) أو ترتيب المولد أو سبب آخر لا تربوي، كما يؤثر أسلوب تربية الأبناء في الأسر على تصرفاتهم في المستقبل، ففي كثير من مجتمعاتنا العربية تقع الطفلة ضحية التمييز السلبي في العائلة منذ المراحل الأولى لحياتها، حيث تجري تنشئتها في مكانة أدنى، وهذا يجعلها تسلك اتجاها تنازليا على مدار العمر ينطوي على الحرمان والانعزال وبهذا تصبح الفتيات مهملات تماما وسط الأسرة وهكذا، حتى لو توفرت هنا فرص التعليم الممكن، والغذاء المعقول فإن التربية النفسية القائمة على السلب وتكريس العجز وعدم تنمية طاقات جميع أفراد الأسرة دون تمييز.

يؤثر التمييز في المعاملة بين الإخوة والأخوات على الأبناء بشكل كبير، حيث أشارت آسيا بركات **(2000)** إلى أن المعاملة الوالدية التي تفرق بين الأبناء أو لا تتيح لهم فرص التعامل مع الواقع بإيجابية فإنها تؤثر على شخصياتهم وتعرضهم للاضطرابات السلوكية والنفسية والعقلية، كما أشار وفيق صفوت مختار **(2004)** على أن اختلاف معاملة كل من الوالدين للطفل من حنان زائد على أحدهما إلى قسوة صارمة على الآخر يؤدي إلى شعور الأبناء بعدم الإحساس بالأمن، أما بخصوص علاقة التمييز في المعاملة وهروب الفتيات من البيت فقد توصل **(Jarvis & la 1991)** إلى أن معاملة الوالدين للهاربين اتسمت بالمفاضلة الوالدية لطفل دون آخر، كما توصل لورد **(Lord 1984)** في دراسة سابقة إلى إثبات أن

أسر الهاربين تتسم بوجود معاملة والدية مبنية على المفاضلة في الجنس، إذ أن أعلى نسب التوبيخ في المعاملات كانت مرتفعة عند الإناث "[12].

ـ الحرمان من الحاجات (الحرمان العاطفي): يعتبر الحرمان العاطفي واحد من أهم أسباب هروب الفتيات من البيت ولا يمكن أن يتوفر هذا الحنان والعطف إلا بوجود الوالدين داخل الأسرة وقربهما من أبنائهما وفي هذا المجال تقول سامية حسن الساعاتي أستاذ علم الاجتماع بعين شمس أن غياب الوالدين عن البيت لفترات طويلة بسبب العمل أو الهجر أو الطلاق فيه حرمان للأولاد من الحنان والعاطفة والأمان، وهو أسوأ حرمان لأن الجوع العاطفي له تأثير سلبي على شخصية الإنسان أكثر من سلبيات الجوع الغذائي، وبالتالي يعد الحرمان العاطفي واحد من أهم أسباب هروب الفتيات من البيت العائلي حيث تبحث الفتاة عمن يحقق لها الإشباع العاطفي[13].

هناك علاقة بين هروب الفتيات من البيت والحرمان العاطفي فالمراهق الذي يشعر بمحبة وعطف الوالدين فإنه لا يلجأ إلى الأقران طلبا للحب والتقدير، أما إذا شعر المراهق بالحرمان العاطفي داخل الأسرة فإنه يسعى إلى تعويض هذا النقص خارج أسرته من خلال جماعة الرفاق، كما أن الاتصال والحوار الأسري يعد من بين الحاجات النفسية والاجتماعية الأساسية التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها.

ـ غياب الوالدين (الإهمال واللامبالاة): يعتبر غياب الوالدين أو أحدهما بسبب الوفاة أو الطلاق أو الهجر من أهم أسباب جنوح الأحداث لفقدانه الرعاية اللازمة له في حالة غياب الوالدين، أو لضعف الرعاية اللازمة التي يحتاجها مما يعرض الأبناء إلى التشتت وربما التشرد، وأوضح مصطفى حجازي أن معاناة الأسرة من التفكك تكون بدرجات متفاوتة، إما بافتراق الوالدين وزواج أحدهما أو كلاهما ثانية أو موت أحدهما وزواج الآخر، أو هم يتوزعون بين الأهل أحيانا، مما يصعب من حياتهم فيسلكون الهروب من البيت[14].

وتوصلت دراسة كرتز وآخرون **(Kurtz & la 1991)** التي تناولت الهاربين وطبيعة المشاكل التي يتعرضون لها إلى أن للأساليب الوالدية دور كبير في تفجير سلوك الهروب كالإهمال وعدم الرعاية من طرف الوالدين أو أحدهما، حيث قدر وجود هذا العامل بنسبة **(35%)**، وفي دراسة لجانوس وآخرون **(Janus & al 1987)** قام من خلالها بفحص ملفات خاصة بثمانية وثمانين هارب سنهم ما بين الخامسة عشر إلى العشرين سنة وخلص إلى أن **(97%)** من عائلات الهاربين كانت مفككة بالدرجة الأولى بسبب الطلاق وإعادة زواج الوالدين وأن **(26.5%)** عاشوا مع والد دون الآخر أو مع من ينوبه وأن **(18.1%)** عاشوا دون حضور الوالدين معا، كما تدعم الدراسة التي قام بها كوفلدت **(Kufeldt 1991)** معطيات الدراسة السابقة، من حيث أهمية الوجود الوالدي في الأسرة، حيث أثبتت

أن حالات الهروب من البيت العائلي كانت مرتفعة سبعة مرات عند العائلات التي يوجد فيها والد واحد مقارنة بوجود الوالدين معا، وفي هذا السياق كان نيرون **(Neron 1968)** إلى أن التفكك الأسري له تأثير سلبي على الأبناء، حيث اعتبر أن إقامة زوج أو زوجة جديدة في نفس البيت من العوامل التي أدت إلى عدم صلاحية الجو الأسري، واتضح أن لزواج الأم برجل آخر أثر على توجيه الابن نحو الهروب أكثر من زواج الأب من امرأة أخرى حيث أكد أن إعادة زواج الوالدين تحتل الصدارة من بين عوامل التفكك الأسري عند عائلات الهاربين وهذا ما كان سببا في ظهور اضطرابات سلوكية لدى الأبناء(15).

ـ السلوكات الانحرافية للوالدين: يؤثر اتجاه الوالدين بشكل كبير على سلوك الأبناء حيث يعتبران القدوة والمثل الذي يتبعه الأبناء ويقلدونه، ومثل هذا التأثير السلبي لسلوكات الوالدين على الأبناء نجده في الدراسات التي قام بها **ماغاها (Magaha ,1995)** في الدراسة التي خص بها **68** هارب أن كحولية الوالدين كانت عاملا مباشرا لهروب الأبناء من البيت بنسبة **(83%)**، وتأتي هذه المعطيات مدعمة نتائج دراسة كل من **غافازي وبلومنكرانتز (Gavazi & Blumenkrantz, 1991)** بخصوص الكحولية الوالدية حيث أكدت بأن كحولية الوالدين كانت عاملا مباشرا في هروب الأبناء من البيت، إذ قدر وجود ذلك بنسبة **(83%)** من المجموع الكلي للعينة، وأضافت الدراسة أن الآباء الكحوليين يعجزون عن إعطاء القدر الكافي من الرعاية والحب الضروري لأبنائهم لأن الأب الكحولي غالبا ما يكون غائبا، وإن كان حاضرا، فإن سلوكه يتميز بالتذبذب ويكون الأبناء نتيجة لذلك عرضة لعنفه وضحايا لاعتدائه البدني والعاطفي(16).

إن ما تم عرضه أنفا استخلصنا من خلال القراءات المستفيضة حول موضوع الهروب من البيت بالإضافة الدراسات السابقة لموضوع الهروب من البيت، تأكد لدينا أهمية الأسرة في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للأبناء بحيث أنه كلما كانت الأسرة مستقرة وآمنة اتسمت سلوكات الأبناء بالاستواء، وكلما غلب على الأسرة التوتر والصراع الأسري وأساليب المعاملة السيئة، فإنه يقود إلى انحراف الأبناء الذي من مظاهره هروب الفتيات من البيت.

ـ خامسا: بعض الحالات من المراهقات الهاربات من البيت

هذه الحالات التي نقوم بعرضها تاليا، هي عبارة عن مقابلات تمت خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في مركز إعادة التربية ببن عاشور في البليدة.

ـ الحالة الأولى: منال فتاة من مدينة بومرداس، تبلغ من العمر **14** سنة، مضى على هروبها من البيت 23 يوما من تاريخ إجراء المقابلة، تدرس في السنة الثانية أساسي، تحصلت في الفصل الأول على معدل **(20/13)**، انقطعت عن الدراسة لمدة **15** يوما بسبب هروبها من البيت، أبواها مطلقان، ولديها أخوين شقيقين، تزوج الأب **4**

مرات، الزوجة الأولى لم تنجب له فطلقها، والثانية هي أم منال، أما الثالثة أنجبت له بنتا، ثم أعاد الزواج من الرابعة التي تزوجها حديثا، أما الأم فقد أعادت الزواج بعد طلاقها من الأب وأنجبت بنتا.

كانت منال تعيش ظروفا أسرية صعبة، بسبب الوالدين قبل طلاقهما، فالأب كان يضرب أمها كثيرا عند عودته من العمل لأنه كان قد أوقف الأم عن العمل، وبقي شكه في أنها مازالت تخرج للعمل أثناء غيابه، ورغم حبه لمنال إلا أنه كان يضربها هي الأخرى بسبب أمها عندما يغضب ويقول لها: " يماك هي سباب المشاكل"، وحتى أخوها الأصغر الذي يبلغ من العمر 7 سنوات لم يسلم من ضربهما بدون أي سبب.

وبقي الحال هكذا حتى تطلقا وأعاد كل منهما الزواج، أما منال التي كانت تبلغ من العمر حينها **10** سنوات استغلت كورقة ضغط من قبل الوالدين لتصفية حساباتهما، وانتقام كل واحد من الأخر عن طريقها، وفي حين انتقل أخواها للعيش عند جدهما ، بقيت منال عند الأب الذي رغم أنه كان يحبها لم يشأ بقاءها عنده، وكان يقول لها دائما "إذا شفتك عاقلة نشدك، وإذا ما شفتكش عاقلة تروحي ليماك"، غير أن زوجة الأب لم ترغب في بقائها وكانت تريدها أن تذهب للعيش عند أمها، وتقول منال "كانت تحرشوا عليا ويضربني على جال والوا" ولهذا السبب انتقلت منال إلى العيش عند أمها التي كانت أنجبت بنت صغيرة، وكانت تحبها أكثر من منال وتفضلها عليها، وكانت دائما تأمر منال أن تحرص أختها من أن تقع أو يحدث لها مكروه داخل البيت عند انشغالها بتنظيف البيت، وفي يوم من الأيام كانت منال جالسة تشاهد التلفاز في البيت (بيت أمها)، فتقول منال: " طاحت الطفلة، جات ضرتني يما بالتيو نتاع الغاز" فهربت عند جدها الذي أعادها إلى أمها وهو يقول لها "ما تضربيهاش، ما تهدريش معاها، زعفت يما ها ذاك النهار من جدي، وراحت سخنت الموس (سكين) أو حطاتو فوق فخذي"، ذرك ما زالت **cicatrices** نتاع الموس، رحت عند بابا فالليل، كي حكيتلو راح غدوة من ذاك شتكى بيها ودخلت للحبس شهرين ونصف، كي خرجت مالحبس زادت حقدت عليا كثر وأكثر ".

"بقيت عند بابا وحد العام، خطرة الثالثة (زوجة الأب الثالثة) قاتلوا سرقتلي منال ثلث ملاين، كيفاش تديلي الدراهم (تبكي منال كثيرا " أنا علاش نسرقلها ") ضربني بابا ها ذاك النهار، عاودت رحت ليما مضروبة ، شتكات بيه عند **Les gendarmes** ودخل للحبس شهر وخرج.

بقيت منال عند أمها، وفي يوم من الأيام تقول منال " حاوزتني يما عند **Les gendarmes** "، بسبب النفقة، و عندما ذهب الدرك الوطني إلى أب منال وطلبوا منه إما أن يمد نفقة ابنته أو أن تبقى عنده "قال لهم ما نزيدش نديها" لأنها كانت السبب في دخوله إلى السجن، وبقيت منال عند أمها تعاني من ضربها، وضرب زوج أبيها الذي كان يعمل موزعا لقارورات الغاز، حتى أنه في يوم من الأيام أراد

أن يعتدي عليها، وعندما أخبرت أمها بما جرى لها كذبتها وقامت بضربها، فهربت من البيت إلى الشارع، ثم بعد ذلك رجعت إلى البيت عند أمها.

وبعد ذلك انتقلوا إلى العيش في مدينة ورقلة أين قاموا بكراء منزل، وبقيت منال مع أمها مدة 3 أشهر، حتى حاول زوج أبيها الاعتداء عليها مجددا، فخافت منال كثير ولم تستطع إخبار أمها خوفا من أن تضربها، فهربت إلى الشرطة وطلبت منهم أن يعيدوها إلى بيت أبيها في مدينة بومرداس، وعندما عملوا معها تحقيقا واتصلوا بأمها التي جاءت لأخذها، وعندما أعادتها إلى المنزل قامت بضربها، وفي اليوم التالي أخذت منال النقود من البيت وهربت إلى مدينة بومرداس عند أبيها فقال لها "إذا شفتك عاقلة نشدك، وإذا ما شفتكش عاقلة تروحي ليماك. وبقيت منال معه مدة سنة ونصف تقريبا غير أن زوجة أبيها كانت كما تقول منال " تحرشوا دائما عليا ويضربني" فهربت من البيت إلى الشارع ، وبعد 20 يوما من هروبها من بيت أبيها ألقت عليها الشرطة القبض في الجزائر العاصمة وعملوا معها تحقيقا أين أخذوها إلى قاضي التحقيق، ثم أمر بإيداعها إلى مركز إعادة التربية ببن عاشور تحت خطر معنوي .

وعند سؤالنا منال من تحبي أكثر أمك أو أباك أجابت " نكره يما، ونحب بابا كثر، ثم أخبرتني أن جدها أتى إلى المركز وأرد أن يأخذها للعيش عنده.

كانت منال ترتدي مئزرا ورديا فاتح اللون، خلوقة ومطيعة، تظهر عليها البراءة ، وعلامات التعب والخوف باديتان على وجهها ، بسبب معاناتها من الوالدين اللذان كانت ضحية لهما، واستغلاها لتصفية حساباتهما كاملة، حيث أن كل منهما أدخل الآخر السجن بسببها، ورغم كل ذلك كانت متفائلة جدا بعد أن سمعت من جدها أن أباها طلق زوجته الثالثة وتتزوج من أخرى، وأخبرها أن الزوجة الرابعة حنونة وعطوفة، وهذا ما جعلها تفرح كثيرا وتتمنى العودة للعيش مع أبيها الذي كانت تحبه كثيرا، وهي خائفة كثيرا على سنتها الدراسية من الضياع لذلك تريد الخروج من المركز في أقرب وقت والعودة إلى المدرسة لاستكمال عامها الدراسي الذي كانت متفوقة فيه لولا مشاكلها مع أبيها وزوجته، حيث تحصلت على معدل **20/13** في فصلها الأول رغم ما حدث لها، وهي عازمة على العودة إلى مقاعد الدراسة والتفوق في دراستها.

لقد عاشت منال في أسرة مفككة ماديا ونفسيا، وهذا ما جعلها ضحية هذا التفكك ومعاناتها بعد أن تزوج الأب بعد طلاقه وأصبح لا يهتم إلا بأسرته، وكذلك الأم التي أعادت الزواج وأنجبت بنتا، أما منال التي كانت أمها ترى فيها صورة أبيها تخلت عن أمومتها، وهكذا بقيت منال تعاني من العنف الأبوي قبل طلاق الوالدين وحتى بعد طلاقهما، أين كانت تتعرض لشتى أنواع للضرب بشدة من طرف الأبوين، وتعاني من شتى أنواع العذاب من طرف أمها، وإذا كانت الأم تعتبر منبع الحنان والكرم والعطف، فكيف يكون الحال إذا تخلت الأم عن هذه الصفات وصارت

مصدرا للشر وشتى أنواع العذاب، حتى الجد الذي تكفل بإخوة منال، رفض التكفل بها رغم علمه معاناتها إلا أنه رفض كفالتها على اعتبارها بنتا، ونحن نعيش في الجزائر في مجتمع ذكوري أبوي يفضل الذكور ويرفض الإناث، وبالتالي كانت منال تعاني من السلوكات الإنحرافية للأسرة، رغم سن منال الذي لم يتجاوز 12 سنة حينها.

ـ الحالة الثانية: تعيش نجاة في أسرة فقيرة تتكون من أبوين وثلاثة إخوة، بالإضافة إلى عمها وأسرته اللذان يقاسمانهما نفس البيت، عمرها 13 سنة، أبوها يعمل في بعض الأحيان وأحيانا أخرى لا يعمل، أما أمها فهي ماكثة في البيت، وكان خالها هو الذي ينفق عليهم، لديها أختين أصغر منها سنا، انقطعت عن الدراسة في السن الخامسة ابتدائي لأن أباها أوقفها عن الدراسة بسبب تكاليف الدراسة، مضى على دخولها المركز حوالي شهرين.

تطلق والداها بعد أن دخلت المركز بحوالي شهر بسبب الأب الذي كان يضرب أمها كثيرا بسبب أمور المنزل، وكان عندما يعود إلى البيت ولا يجد ما يأكل، ينزل جم غضبه على الأم وبناتها ، ويقوم بضربهن جميعا، ويعتبرهن سبب فقره وإفلاسه، كما كان يتشاجر كثيرا مع أخيه وزوجة أخيه، الذين اعتدى عليهما بالسكين في أحد الأيام ودخل بسببهما السجن لمدة سنة كاملة.

أما عن نجاة فتقول " كان يضربني بابا حتى ما نقدرش نتحمل" وكان يضرب أختي نعيمة بزاف (الأخت الوسطى) وحتى زينب كان يضربها (الأخت الصغرى) وتضيف نجاة " ما عندوش الحق باش يضربنا" حتى كانت يما (الأم) تروح تشتكي بيه عند **La Police** ومن بعد هربت عند خالتي في قسنطينة على جال مشاكل نتاع بابا ، كان عمري **10** سنين".

وانتقلت عند العيش عند الخالة في قسنطينة، وتابعت دراستها هناك وحينها استغلتها ابنة خالتها نسيمة البالغة من العمر **(26)** سنة، والتي كانت تمارس عدة سلوكات انحرافية ضمن شبكة مختصة في الدعارة وتجارة المخدرات، وأخبرتها أن هناك عمل في العاصمة عليها انجازه وتريدها أن تساعدها في ذلك العمل، والحقيقة أنها أرادت أن تستغلها في تجارة المخدرات فرافقتها نجاة إلى العاصمة، وفي العاصمة ذهبتا إلى بعض الصديقات و بعد ذلك أعطتها كيسا ثم طلبت منها أن تذهب به إلى محطة الحافلات وتنتظرها عند المحطة، وعندما فتحت نجاة الكيس وجدت فيه حبوب منع الحمل وبعض المهلوسات فخافت كثيرا ثم أخذت الكيس إلى الشرطة وأخبرتهم أن ابنة خالتها هي التي أعطتها هذا الكيس، و قامت الشرطة بالتحقيق معها ثم تم أخذها إلى قاضي التحقيق، الذي أمر بإيداعها مركز إعادة التربية.

كانت نجاة ترتدي مئزرا ورديا فاتح اللون، وهي فتاة خجولة كثيرا حيث كثير من الأسئلة رفضت الإجابة عليها، كما كانت تكذب كثيرا عند الإجابة على

بعض الأسئلة، كعمل بنت الخالة و خاصة عند سؤالنا ماذا كان يحتوي الكيس الذي أعطته لها بنت خالتها، وهذا ما جعلنا نستعين بالأخصائية النفسانية فأخبرتنا بحقيقة عمل ابنة خالتها، وماذا كان يحتوي الكيس، كما أن هناك أمور كثيرة رفضت الحديث عنها، من خلال المقابلة استنتجنا أن نجاة كانت على علاقة وطيدة بابنة خالتها نسيمة التي استغلتها ضمن شبكة تجارة المخدرات والدعارة، وهذا ما جعلها تتعرف على واقيات منع الحمل فور مشاهدتها في الكيس، والفتيات في مثل سنها لا يعرفن مثل هذه الأمور. فكيف تعرفت عليها هي؟. وهذا ما جعلنا نستنتج أن نجاة كانت معتادة على مشاهدة هذه الوسائل عند ابنة خالتها.

ـ الحالة الثالثة: تعيش فريال في مدينة المدية، عمرها **18** سنة وهي بدون مستوى تعليمي، لا تعرف أباها أبدا، وقيل لها أنه توفي قبل ولادتها، أما أمها فقد تركتها لتعيش عند جدتها، وتأتي لزيارتها من وقت إلى آخر، وعند ما بلغت فريال سن **12** سنة توفيت جدتها التي ربتها، وبقيت فريال وحيدة، لأن أمها كانت كثيرة السفر والتجوال، وعندما تعود للبيت لزيارة فريال يأتي معها بعض أصدقائها ويمكثون معها بضعة أيام في البيت ثم تغادر معهم، وكثيرا ما كانت تضرب فريال عندما تكون مخمورة أو تحت تأثير المخدرات، مما يجعل فريال تهرب إلى الشارع لتبيت فيه، وعندما سألناها عمن كان يعيلها بعد وفاة جدتها قالت أنها كانت تسرق في الأسواق لأن أمها أوصتها بالسرقة حيث تقول فريال أن أمها كانت دائما تقول لها "السرقي تعيشي" وهكذا اتخذت فريال من السرقة حرفة لها، بل تعتبرها الهواية المفضلة لديها، وكانت ترفض رفضا قاطعا أن يعطيها أحد النقود أو الطعام لأنها كما قالت: "نحب نتعب على الحاجة، كي نسرقها نحس بيها، والنهار اللي ما نسرقش فيه ما يعجبنيش الحال"، حتى انه داخل المركز كانت تسرق حاجيات الفتيات المقيمات معها، حيث كانت تقول لي داخل المركز "اللي يحبني يقول لي السراقة"، حتى أنه عندما رأتني جلست ووضعت محفظتي على الطاولة، جاءت مباشرة إلي وجلست في نفس الطاولة ثم استدرجتني في الكلام، حتى غفلت عن محفظتي فقامت مباشرة بفتحها وفتشتها بالكامل ولما لم تجد سوى الكراريس والكتب فقط قامت بغلقها وأنا أنظر إليها، ولما سألتها عن سبب فتح المحفظة قالت لي لم أعلم أنها تخصك، واعتذرت إلي ثم انصرفت، ولم أكن أعلم أنها سارقة محترفة حينها، ولما جاءت المربية وأخبرتها الخبر قالت لي أنها مدمنة على السرقة، وأنه من حسن حظي أنني لم أضع هاتفي النقال أو النقود داخل تلك المحفظة.

في اليوم التالي استدعتها المربية من أجل إجراء المقابلة معها، وعندما جلست فريال وانصرفت المربية التي كانت تضع محفظتها ومعطفها وكل أدواتها الخاصة على كرسي في نفس الطاولة، فما إن رأت فريال المحفظة توجهت إليها مباشرة وقمت بفتحها، فقمت مباشرة ومنعتها من التفتيش، ثم رأت معطف المربية فانتقلت إليه لتفتشه فأوقفتها وأنا أترجاها أن تبقى هادئة حتى تكتمل المقابلة على خير، وأنقض نفسي من المصيبة التي وقعت فيها.

بالرجوع إلى حياة فريال فبعد وفاة جدتها بقيت تعيش وحيدة داخل البيت طيلة 3 سنوات، وبعد ذلك قامت أمها ببيع البيت، وصارت فريال بدون مأوى وتشردت في الشوراع، ثم انتقلت إلى مدينة البليدة أين كانت تمارس السرقة في الأسواق، خاصة أسواق النساء حيث تقول فريال: "كنت دايرة حالة فالعجايز سريقتهم ساهلة"، وعن المبلغ الذي كانت تحصّله فريال يوميا عن طريق السرقة، تقول إنها كانت تسرق حوالي **10** ملاين سنتيم فاليوم، أما يوم الجمعة في سوق النساء الأسبوعي بالبليدة كانت تسرق **20** مليون سنتيم، ولما سألتها أين تخبئ كل هذه النقود حيث قضت مدة **3** سنوات في البليدة وهي تسرق قالت، أن المبلغ الذي كانت تسرقه في اليوم، توزعه في المساء على المتسولين، وبعض الأشخاص المدنين والمنحرفين الذين يعرفونها، كانوا يأتون إليها في المساء وتوزع عليهم المبلغ الذي بحوزتها كاملا عن طيب خاطر، ولا تترك لنفسها شيء وهكذا كانت حياتها، إلى أن ألقي عليها القبض من طرف الشرطة وبحوزتها مبلغ **10** ملايين سنتيم، وهو المبلغ الذي ورثته حقيقة عن جدتها، أو بالأحرى سرقته بعد وفاتها قبل **6** سنوات وعندما استجوبتها قاضي التحقيق عن المبلغ، قالت فريال أنه بذكائها تمكنت من افتكاك حالة الخطر المعنوي دون أن تتهم بالسرقة.

ـ الخـاتمة

تعد نوعية المعاملة الأسرية للفتاة المراهقة من أهم العوامل المؤثرة على انتشار ظاهرة هروب الفتيات المراهقات من البيت، فإذا اتسمت المعاملة الأسرية للفتاة المراهقة بالاستواء والاتزان والتربية والتنشئة السوية والابتعاد عن ممارسة العنف والضغوطات الأسرية، فإن الفتاة لا تفكر في الهروب من البيت، أما إذا طبع نوعية المعاملة الأسرية للفتاة ممارسة العنف والحرمان العاطفي والإيذاء النفسي والجسدي، وما يطبعها من سلوكات منحرفة للآباء جراء تناول الكحول والمسكرات حيث تتأثر الفتاة بهذه المعاملة السيئة الصادرة من طرف الأسرة، وبالتالي تقرر الهروب من البيت العائلي في محاولة منها للخروج من هذا الوضع السيئ الذي تعيشه في الأسرة.

وبانتقال الفتاة إلى العيش في الشارع تكون قد سلكت طريق الانحراف بعد أن تندمج في عصابة من أبناء الشارع، وتمارس شتى أنواع السلوكات الإنحرافية من دعارة وإدمان واعتداء والسرقة، وبهذا السلوك يتأثر البناء الاجتماعي لذي يتأثر بهذه الممارسات الغير سوية، وكلما زاد انتشار ظاهرة هروب الفتيات من البيت داخل مجتمع ما زاد معها المظاهر والممارسات الإنحرافية لهذا المجتمع والعكس صحيح فكلما قل انتشار ظاهرة هروب الفتيات من البيت قلت تلك الممارسات الإنحرافية للمجتمع.

أما مسؤولية انتشار ظاهرة هروب الفتيات من البيت وما تخلفه من سلوكات وانحرافات سلوكية داخل المجتمع فتقع على الأسرة التي لم تحسن التعامل مع هذه

الفتاة المراهقة التي هربت من البيت وكانت الدافع إلى هروبها من البيت وبالتالي فإن الأسرة المسؤول الأول والأخير الذي يتحمل تبعات هروب بناتها من البيت.

ـ ثبت الإحالات والهوامش:

(1) علي بوعناقة. الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ص ص 121.120

(2) محمد الدقس. التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2005، ص19.

(3) دلال ملحس استيتية: التغير الاجتماعي والثقافي، عمان، دار وائل للنشر، 2004، ص19.

(4) طاهر محمد بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999)، الجزائر، دار بن مرابط للنشر،2008، ص45.

(5) محفوظ، سماتي. الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها. ترجمة محمد الصغير بناني وعبد العزيز بوشعيب. الجزائر: منشورات دحلب، 2007، ص137.

(6) طاهر محمد، بوشلوش. مرجع سابق، ص 121.

(7) علي أحمد، حمدي. المجتمعات الجديدة بين سياسة الانتشار الحضري والتنمية المتوازنة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2009، ص18.

(8) علي مانع: جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص 117.

(9) (10) المرجع السابق، ص ص 173- 174

(11) (12) فتيحة، كركوش. "المحددات النفسية والاجتماعية لظاهرة الهروب من البيت" أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008، ص ص 125، 126

(13) سامية حسن الساعاتي:"ظاهرة هروب الفتيات من البيت مشكلة تبحث عن حل"، نقلا عن موقع: http://alwaei.com/topics/view/articl تاريخ التصفح المقال **2011/04/8**، ص 2.

(14) محمود بوسنة وفتيحة كركوش، "هروب الأحداث من البيت: التناولات النظرية والمحددات الأساسية لهذا السلوك"، **مجلة معارف بسيكولوجية**،2007،1: ص93.

(15) (16) فتيحة، كركوش. مرجع سابق، ص ص 110، 113.